



﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾



قوله تعالى: ﴿ هُدًى ﴾ . أي: نورٌ وهدايةٌ من الضلال للمتقين؛ لا لغيرهم .
قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: (قوله تعالى: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾)
صرَّح في هذه الآية بأن هذا القرآن هدى للمتقين ، ويفهم من مفهوم الآية
- أعني مفهوم المخالفة المعروف بدليل الخطاب - أن غير المتقين ليس هذا
القرآن هدى لهم ، وصرَّح بهذا المفهوم في آيات أخر كقوله: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَادَانِهِمْ وَقَرْهُهُ وَعَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ ^(١) .
وقوله: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا
خَسَارًا ﴾ ^(٢) .

وقوله: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ءِيمَانًا فَأَمَّا
الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ ^(٣) .

(١) فصلت: ٤٤ .

(٢) الإسراء: ٨٢ .

(٣) التوبة: ١٢٤ - ١٢٥ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَيزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ ^(١) .
 ومعلوم أن المراد بالهدى في هذه الآية : الهدى الخاص الذي هو التفضل
 بالتوفيق إلى دين الحق ، لا الهدى العام ، الذي هو إيضاح الحق ^(٢) .
 وقال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله : (والهدى في هذا
 الموضع مصدرٌ من قولك : هديتُ فلاناً الطريق - إذا أرشدته إليه ، ودلّته عليه ،
 وبيّنته له - أهديه هدىً وهداية . فإن قال لنا قائل : أو ما كتاب الله نوراً إلا
 للمتّقين ، ولا رشاداً إلا للمؤمنين ؟ قيل : ذلك كما وصفه الله ربنا ﷻ ، ولو
 كان نوراً لغير المتّقين ، ورشاداً لغير المؤمنين ، لم يخصّص الله ﷻ المتّقين بأنه لهم
 هدىً ، بل كان يعُمُّ به جميع المنذرين ، ولكنه هدىً للمتّقين ، وشفاء لما في صدور
 المؤمنين ، ووَقَرٌ في آذان المكذّبين ، وعمى لأبصار الجاحدين ، وحجّةٌ لله بالغة على
 الكافرين ، فالؤمن به مُهتدٍ ، والكافر به محجوجٌ ^(٣) .

(١) المائدة : ٦٨ .

(٢) أضواء البيان (١ / ٤٥) ط . عالم الكتب .

(٣) تفسير الطبري (١ / ٢٣٤) ط . دار هجر .

أنواع الهداية :

وأنواع الهداية المذكورة في كتاب الله تعالى أربعة ؛ وهي :

١ - الهداية العامة المشتركة بين جميع المخلوقات ، قال تعالى : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾^(١) . وقوله سبحانه : ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾^(٢) .

٢ - هداية دلالة وإرشاد : وهذه عامة لجميع البشر مؤمنهم وكافرهم ؛ فقد أرشد الله عباده كلهم للطريق المستقيم ، ودلهم عليه وأمرهم بسلوكه ؛ ونهاهم عن ضد ذلك .

وكذلك فإنها تكون من الله ، ومن العباد بأن يُرشد بعضهم بعضاً إلى الصواب والطاعة ، وهي المرادة بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(٣) ، وقوله سبحانه : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾^(٤) ، أي : بينا له الطريقين الواضحين : طريق الخير وطريق الشر .

(١) الأعلى : ١ - ٣ .

(٢) طه : ٥٠ .

(٣) الشورى : ٥٢ .

(٤) البلد : ١٠ .

وهذه الهداية أوجبها الله سبحانه على نفسه رحمة بعبادة ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾ ^(١) .

وبهذه الهداية يظهر اختيار العاقل المكلف ؛ فيما أن يختار ويستحب الإيمان ، وإما أن يختار ويستحب العمى على الهدى . قال سبحانه : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ ^(٢) ، أي : بينا لهم وأرشدناهم ودلناهم . وقال تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ ^(٣) .

٣- هداية توفيق وإلهام : ولا تكون إلا من الله وحده ، ولأهل تقواه وطاعته ورضاه ، فهي خاصة لا عامة ؛ وهي التي نطلبها منه سبحانه كل يوم مرات ومرات في قولنا : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ أي : وفقنا للهداية وثبتنا عليها ، وهي المرادة بقوله سبحانه : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ ^(٤) . وقوله : ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴾ ^(٥) . وقوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ^(٦) . وقوله ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرُ ﴾

(١) الليل : ١٢ .

(٢) فصلت : ١٧ .

(٣) الإنسان : ٣ .

(٤) البقرة : ٢٧٢ .

(٥) الزمر : ٣٧ .

(٦) القصص : ٥٦ .

عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّصُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١﴾ .

وقوله ﴿١﴾ : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَاهِرُ مِنْ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ ﴿٢﴾ .

نسأل الله أن يجعلنا من أهل هدايته ، وأن يخلصنا بالمزيد من توفيقه ورعايته .
آمين .

٤ - الهداية إلى الجنة : وهي غاية الهداية ومنتهاها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ ﴿٣﴾ .

وقوله سبحانه : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُّونَ أَنْ تَلَكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٤﴾ .

(١) الكهف : ١٧ .

(٢) الرعد : ٣٣ .

(٣) يونس : ٩ .

(٤) الأعراف : ٤٣ .

التقوى في اللغة والشرع

وقوله : ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ، التقوى لغةً : من الإِتِّقاء ، وأصله من الحاجز بين الشئين ، ومنه يقال اتقى بترسه أي : جعله حاجزاً بينه وبين عدوه .

والتقوى شرعاً : أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقايةً باتِّباع أوامره واجتناب نواهيه ، والتقوى محلها القلب لما جاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال : (التقوى ها هنا) ويشير إلى صدره ثلاث مرات . . . (١) ؛ وتظهر آثارها باستقامة الجوارح على طاعة الله تعالى .

وقد سئل علي بن أبي طالب عليه السلام عن معناها فقال : (الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل) .
وقال عبد الله بن مسعود عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ (٢) قال : (أن يُطاع فلا يُعصى ، ويذكر فلا يُنسى ، ويُشكر فلا يكفر) .

وسأل عمر بن الخطاب عليه السلام أبي بن كعب عليه السلام عن التقوى ؟ فقال له أبي عليه السلام : (أما سلكت طريقاً ذا شوك ؟) فقال : بلى . قال : (فما عملت ؟) قال : شمرت واجتهدت (٣) . قال : (فذلك التقوى) (٤) .

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤) كتاب البر والصلة ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .

(٢) آل عمران : ١٠٢ .

(٣) أي : شمرت ثيابي ، واجتهدت أن لا يُصيب الشوك قدمي وبدي .

(٤) أي : أن تشمر في طاعة الله ، وتجتهد أن لا تقع في معصية الله .

وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال :

خَلَّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا ذَاكَ التُّقَى
وَاصْنَعَ كَمَا شِئَ فَوْقَ أَر ضِ الشُّوكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

فلذلك المتقي مثله كمثل الذي يسير على الشوك ، الهَمُّ في قلبه والاضطراب في نفسه ، والقلق والخوف من أن يقع في معصية الله تبارك وتعالى .

فالمتقي لله ﷻ لا يأخذ هذه الدنيا هكذا بطمأنينة وراحة وفرح ، وهو يعرف أنه في دار اختبار وابتلاء ، بل هو متقٍ خائف من الوقوع في الذنوب والمعاصي يسأل عن كل أمر ؛ إذا جاءه المال من أين هذا المال ؟ كيف جاء هذا المال ؟ كما كان حال أبي بكر الصديق ﷺ .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان لأبي بكر غلامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ ، وكان أبو بكرٍ يأكلُ مِنْ خَرَاجِهِ ، فجاءَ يوماً بشيءٍ ، فأكلَ منه أبو بكرٍ فقال له الغلامُ : أتدري ما هذا ؟ فقال أبو بكرٍ : وما هو ؟ قال : كنتُ تكهَّنتُ لإنسانٍ في الجاهليةِ ، وما أُحْسِنُ الكِهَانَةَ ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ ، فَلَقِينِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ ، فهذا الذي أكلتُ منه ، فأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ ، فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ) ^(١) .

(١) رواه البخاري (٣٨٤٢) .

هذه هي التقوى ، أن يكون المسلم حريصاً شديد التنبه ، شديد الحساسية ؛ يسأل عن كل أمر من الأمور ؛ هل حرام أم حلال ؟؛ ويهتم بجانب المال ؛ من أين جاء ؟ وكيف جاء ؟ حتى يقي نفسه سوء العذاب يوم القيامة .

وفي سنن ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قيل لرسول الله ﷺ : أي الناس أفضل ؟ قال : (كل مخموم القلب ، صدوق اللسان) قالوا : صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟ قال : (هو التقي النقي ، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد) ^(١) . وقد ذكر الله بعض أوصاف أهل التقوى في قوله : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ^(٢) .

وللتقوى مراتب :

المرتبة الأولى : اتقاء الخلود في النار باعتقاد كلمة التوحيد بالقلب ، والإقرار بها باللسان ، وهي كلمة التقوى ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةً النَّفْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ ^(٣) .

(١) سنن ابن ماجه (٤٢١٦) ، وقال البوصيري في (مصابح الزجاجة) (٢٩٩/٣) رقم (١٥٠٤) :

هذا إسناد صحيح رواه البيهقي في سننه من هذا الوجه . أ. هـ .

(٢) البقرة : ١٧٧ .

(٣) الفتح : ٢٦ .

المرتبة الثانية : اتقاء غضب الجبار بفعل الفرائض واجتناب المحرمات ،
وأهم ما في هذه المرتبة : اداء حقوق الناس وكفُّ الأذى عنهم ، وحفظ حرمتهم .

المرتبة الثالثة : اتقاء الشبهات بالورع والمساورة إلى الخيرات ، كما في حديث
النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : (الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنٌ ، وَبَيْنَهُمَا
مُشَبَّهَاتٌ ، لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ
وَعَرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَعَ يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ ،
أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ حَرَمُهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ
مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ
الْقَلْبُ) ^(١) . وفي رواية : (وَمَنْ اجْتَرَأَ عَلَى مَا يَشْكُ فِيهِ مِنَ الْإِثْمِ ، أَوْشَكَ
أَنْ يُوَاقِعَ مَا اسْتَبَانَ ، وَالْمَعَاصِي حِمَى اللَّهِ ، وَمَنْ يَرْتَعِ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ
يُوَاقِعَهُ) ^(٢) .

وفي رواية : (وَمَنْ يَخَالِطُ الرِّبِّيَّةَ يُوشِكُ أَنْ يَجْسُرَ) ^(٣) . أي : يَقْرُبُ أَنْ يَقَعَ فِي
الْحَرَامِ الْمُحَضِّ .

(١) رواه البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) .

(٢) رواه البخاري (٢٠٥١) .

(٣) رواها أبو داود (٣٣٢٩) في البيوع ، والنسائي (٥٧١٠) في الأشربة ، وابن حبان (٧٢١) في
الرفائق .

المرتبة الرابعة : اتقاء مالا بأس به حذراً مما به بأس ؛ ففي حديث عبد الله ابن يزيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به بأس) ^(١) .

وقال الحسن البصري : (ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام) .

وأعظم زاد هو زاد التقوى ؛ قال تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ ^(٢) .

وأمرنا بالتعاون عليها ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ^(٣) .

وأمرنا بالتناجي بها ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ^(٤) .

والله تعالى هو أهلها ؛ كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ ^(٥) .

(١) رواه الترمذي (٢٤٥١) ، وابن ماجه (٤٢١٥) ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب .

(٢) البقرة : ١٩٧ .

(٣) المائدة : ٢ .

(٤) المجادلة : ٩ .

(٥) المدثر : ٥٦ .

ولباسها خير لباس ؛ قال تعالى : ﴿ وَلِبَاسُ النُّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ ^(١) .

والعاقبة لها ولأهلها ؛ قال سبحانه وتعالى : ﴿ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ

وَالْعَاقِبَةُ لِلنَّقْوَى ﴾ ^(٢) . وقال جل وعلا : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٣) .

وهي وصية الله للأوليين والآخرين ؛ قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ ^(٤) .

وهي أساس قبول أعمال العباد ، وما يرفع إلى الله سبحانه منها ؛ قال تعالى :

﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ النُّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ ^(٥) .

(١) الأعراف : ٢٦ .

(٢) طه : ١٣٢ .

(٣) هود : ٤٩ .

(٤) النساء : ١٣١ .

(٥) الحج : ٣٧ .

بعض ثمرات التقوى :

تحدثت في السطور السابقة عن تعريف التقوى لغة وشرعاً ، ووضحت مراتبها وبعض الأمور التي تتعلق بها ؛ وأتحدث الآن عن جزاء من اتصف بالتقوى ، وبعض الثمرات والفوائد التي يجنيها من تخلق بها ، وعمل بها ، وسار عليها ؛ حتى تشوق نفوسنا لتلك المرتبة ، وتزداد حرصاً على تنفيذها وتطبيقها .

أما جزاءات التقوى وثمراتها فهي كثيرة وعظيمة ، ومبثوثة في كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ ، وإننا نذكر طرفاً منها فقط - إشاراً للاختصار - حتى نعرف قدرها العظيم ، فنأخذ أنفسنا بالجادة في سلوك طريقها ، والاتصاف بها .

وأول جزاء ، بل وأعظم جزاء يناله المتقي لربه ﷻ ، هو محبة الله ﷻ لهذا المتقي ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١) .

ولو كان هذا الجزاء هو الوحيد لمن اتقى الله ﷻ لكان أعظم جزاء ، وأكبر جزاء ، وأكرم جزاء ، أن يحبك الله تبارك وتعالى .

وقال عز من قائل : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٢) وكررها الله تبارك وتعالى في آياتٍ أخرى في كتابه سبحانه وتعالى .

(١) التوبة : ٤ .

(٢) آل عمران : ٧٦ .

والمحبة مقامها كبير وكريم ، ففي الحديث القدسي الذي رواه الإمام البخاري ، والذي يقول فيه رب العزة جل وعلا : (. . . وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضْتُ عليه ، ولا يزالُ عبدي يتقرب إليَّ بالنوافلِ حتى أُحِبَّهُ ، فإذا أُحِبَّهُ كُنْتُ سمعه الذي يسمعُ به ، وبصره الذي يُبصرُ به ، ويده التي يبطشُ بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأُعطيَنَّه ، ولئن استعاذني لأُعِيذَنَّهُ) (١) .

وعند الترمذي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (كان من دعاء داود يقول : اللهم إني أسألك حبك ، وحب مَنْ يُحِبُّكَ ، وحب العمل الذي يبلغني حبك ، اللهم اجعل حبك أحبَّ إليَّ من نفسي وأهلي ومن الماء البارد) ، قال : وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر داود يُحدِّث عنه قال : (كان أعبد البشر) (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (إذا أحب الله العبد نادى جبريل : إن الله يحب فلاناً فأحِبِّه ، فيُحِبُّه جبريل ، فينادي جبريلُ في أهل السماء : إن الله يحب فلاناً فأحِبُّوه ، فيُحِبُّه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلاناً فأبغضه . قال : فيبغضه جبريل . ثم ينادي في أهل السماء : إن الله يُبغض فلاناً فأبغضوه . قال :

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .

(٢) رواه الترمذي (٣٧٢٠) كتاب الدعوات ؛ وقال : حديث حسن غريب .

فبيغضونه . ثم توَصَّعُ له البغضاءُ في الأرض) (١) .

هذا المكسب العظيم من التقوى هو أعظم المكاسب ، وأكرمها ، وأجلُّها ، وكل ما يتمناه المسلم العاقل هو محبة الله تبارك وتعالى ؛ وأعظم بها من محبة .

ثم بعد ذلك من جزاءات التقوى أيضاً : إزالة الهم وجلب الرزق ، يعني لا تكتفي التقوى بأن تزيل همك وفقرك وكربك ، بل وتعطيك جائزةً على ذلك ، بل وتعطيك نفحةً من نفحات الله ، بل وتعطيك فرجاً ورزقاً وخيراً .

لا يكفي أنها تكفر الذنوب ؛ بل وتضاعف الأجور ، كما قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ هل اكتفى بأن أخرجه من مخرجه ذلك ، ومن همَّ

ذلك ، لا ، ﴿ وَزَيَّلَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ ، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾

يسر له أمره ، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ سبب نزول هذه

الآية أن عوف بن مالك الأشجعي ؓ جاء إلى النبي ﷺ وقال : يا رسول الله إن

ابني أسره العدو ، وجزعت أمه ، فما تأمرني ؟ فقال عليه الصلاة والسلام :

(اتق الله واصبر ، وأمرك وإياها أن تستكثرا من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله)

فعاد إلى بيته ، وقال لامرأته : إن رسول الله ﷺ أمرني وإياك أن نستكثر من قول :

لا حول ولا قوة إلا بالله . فقالت : نَعَمْ ما أمرنا به ؛ فجعلنا يقولان ؛ فغفل

العدو عن ابنه ، فساق غنمهم ، وجاء بها إلى أبيه ؛ وهي أربعة آلاف شاة ؛

فنزلت الآية ، وجعل النبي ﷺ تلك الأغنام له .

(١) رواه البخاري (٣٢٠٩) ، ومسلم (٢٦٣٧) واللفظ له ، وأحمد في المسند (٨٥٠٠) .

وفي رواية : أنه جاء وقد أصاب إبلًا من العدو وكان فقيرًا ؛ قال الكلبي :
أصاب خمسين بعيرًا .

وفي رواية : فأفلت ابنه من الأسر وركب ناقة للقوم ، ومرّ في طريقه بسرح
لهم فاستاقه . وقال مقاتل : أصاب غنماً ومتاعاً ، فسأل النبي ﷺ : أيجلّ لي أن
أكل مما أتى به ابني ؟ قال : (نعم) ، ونزلت : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿١﴾
وَمِنْ رِزْقِهِ مِمَّنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (١) .

والتقوى ترفع صاحبها فتجعله من أهل الكرامة عند الله ﷻ ، فبقدر تقواه
بقدر ما يكون كريماً عند الله ﷻ ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَتَأَيَّأُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ
مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ﴾ (٢) ، أرايتم
مكانة التقوى عند الله تبارك وتعالى ، وجزاءها ، وأعظم به من جزاء .

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَمَرْتُمْ
فَضِيعَتُمْ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكُمْ فِيهِ ، وَرَفَعْتُمْ أَنْسَابَكُمْ ، فَالْيَوْمَ أَرْفَعُ نَسَبِي ، وَأَضْعُ
أَنْسَابَكُمْ ، أَيْنَ الْمُتَّقُونَ ، أَيْنَ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٣) إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ (٤) .

(١) (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي (١٨ / ١٠٦) في تفسير سورة الطلاق .

(٢) الحجرات : ١٣ .

(٣) رواه الحاكم ، والبيهقي في (شعب الإيمان) ، وضعفه الألباني في (ضعيف الجامع) برقم :

(١٧٥٤) .

هذا هو نسب الله تبارك وتعالى ؛ التقوى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ؛ لا بالأجناس ، ولا بالألوان ، ولا بالأطوال ، ولا بالأجسام ، ولا بالجمال ، ولا بالمال ، ولا بالحسب ، وإنما بالتقوى ، والتقوى محلها القلب ، وهي الخوف من الله تبارك وتعالى .

ومن جزاءات التقوى : أن المتقين هم أولياء الله تبارك وتعالى ، أنك إذا اتقيت الله ﷻ أصبحت ولياً لله .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ لا خوف عليهم في الدنيا ولا هم يحزنون في الآخرة ، ومن هم يارب ؟ ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ ^(١) .

وقال ﷻ : ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٢) إذا اتقيت الله ﷻ فأنت الرابع ، وأنت الفائز في الدنيا وفي الآخرة .

ومن جزاء المتقين أنهم فائزون بمعية الله تبارك وتعالى ، أن من اتقى الله كان الله معه ، معه بهدايته وبتوقيقه وبنصرته ، ومن كان الله معه فمن ذا الذي يغلبه ؟ ! ، ومن الذي يقهره ؟ ! لا أحد ، لأن الله معه سبحانه وتعالى ، كما كان مع نبيه موسى عندما ضرب البحر ، ومع نبيه محمد ﷺ في الغار ؛ عندما قال للصديق : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ ^(٣) .

(١) يونس : ٦٢ - ٦٣ .

(٢) الجاثية : ١٩ .

(٣) التوبة : ٤٠ .

قال تبارك وتعالى : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١) ، وقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^(٢) .

إذا اتقيت الله تبارك وتعالى كان الله **وَعَلَيْكَ** معك ، وإذا كان الله **وَعَلَيْكَ** معك نصرك ،
وأخرجك من همك ومن غمك ، ورزقك رزقاً مباركاً .

والمتقون هم المقبولة أعمالهم عند الله تبارك وتعالى ؛ فمن جزاءات التقوى أن
أعمال المتقين مقبولة عند الله **وَعَلَيْكَ** .

قال الله **وَعَلَيْكَ** : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٣) .

والتقوى تجعل لصاحبها فرقاناً بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، يعني
تجعل له بصيرة ؛ لا بصر بعينه وإنما بصيرة بقلبه ، يُفَرِّقُ بها بين الخطأ والصواب ،
وبين الخير والشر ، وبين الحق والباطل .

أما الذي أعمى الله بصيرته ، فهو لا يدري العمل الذي يعمل ، أهو خير أم
شر ؟ والعياذ بالله **وَعَلَيْكَ** ؛ وهذا حال كثير من الغافلين والعياذ بالله **وَعَلَيْكَ** .

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَفَوُّا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾^(٤) .

(١) البقرة : ١٩٤ .

(٢) النحل : ١٢٨ .

(٣) المائدة : ٢٧ .

(٤) الأنفال : ٢٩ .

ومن جزاءات التقوى أنها تصلح أعمال الإنسان الدنيوية والأخروية ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (١) .

ومن جزاءات التقوى أن الخاتمة لها ، وأن العاقبة لها ، وأن النهاية لها ، حتى ولو رأيت المتقين على ضعفٍ ، وعلى هزيمةٍ ، وعلى خوفٍ ، فإن النهاية لهم ، وإن العاقبة لهم ، وإن الخاتمة لهم ، ليس المهم أن ينتصر الإنسان في أول الأمر ، ولا في وسطه ، ولكن المهم أن يكون منتصراً في آخره ، فالمتقي لله عَجَّلَ هو المنتصر ، وهو الفائز في نهاية المطاف .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ تِلْكَ الْأَشْخَابُ الْأَخِرَةُ جَعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣) .

والجزء المقابل للتقوى في الآخرة هو الجنة ، قال تبارك وتعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدَّرٍ ﴾ (٥) .

(١) الأحزاب : ٧٠-٧١ .

(٢) القصص : ٨٣ .

(٣) هود : ٤٩ .

(٤) آل عمران : ١٣٣ .

(٥) القمر : ٥٤-٥٥ .

وقال : ﴿ إِنِّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ^(١) .

وقال : ﴿ إِنِّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعِيسٍ ﴾ ^(٢) .

وقال : ﴿ إِنِّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَارِجَ حُلَائِقَ وَأَعْنَابٍ وَكَوَاعِبَ أَزْوَاجٍ وَنَسَاءً دِهَاقًا ﴾ ^(٣) .

وقال : ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ ^(٤) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴾ ^(٥) مَنْ خَشِيَ

الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ وَجَاءَ بِقُلُوبٍ قَنِينٍ ﴾ ^(٦) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾ ^(٧) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ ^(٨) .

فهل بعد هذه الجزاءات والعطاءات العظيمة من محبة الله ، ومن تفريج
للكربات ، ومن نصر ، ومن رزقٍ ، ومن خيرٍ ، ومن معيةٍ لله ، ومن ولايةٍ لله ،
ومن فوزٍ وحسن عاقبة ، ومن جنةٍ عرضها السماوات والأرض . . . إلخ ؛ هل
بعد ذلك يُقَصَّرُ مُقَصَّرٌ عن أن يلحق بركب المتقين ؛ فهل يوجد عاقل يسمع
بكل هذه الآيات ، وهذه الأحاديث فلا يأخذ على نفسه بأن يكون معهم ، وأن
يكون على طريقهم وأخلاقهم ؛ حتى ينجيه الله تبارك وتعالى معهم .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا جميعاً من المتقين .



(١) الحجر : ٤٥ .

(٢) الطور : ١٧ .

(٣) النبأ : ٣١ - ٣٤ .

(٤) ق : ٣١ - ٣٥ .



﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾



الإيمان في اللغة والشرع

الإيمان في اللغة : التصديق ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾^(١) .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : (ومعنى الإيمان عند العرب : التصديق ، فيُدعى المصدِّقُ بالشيء قولاً مؤمناً به ، ويُدعى المصدِّقُ قوله بفعله مؤمناً ، ومن ذلك قول الله جل ثناؤه : ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ يعني : وما أنت بمصدِّقٍ لنا في قولنا . وقد تدخلُ الخشيةُ لله في معنى الإيمان الذي هو تصديق القول بالعمل)^(٢) .

وقال ابن كثير رحمه الله : (أما الإيمان في اللغة : فيطلق على التصديق المحض ، وقد يستعمل في القرآن والمراد به ذلك ، كما قال الله تعالى : ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) ، وكما قال إخوة يوسف لأبيهم : ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ

(١) يوسف : ١٧ .

(٢) تفسير الطبري (١ / ٢٤١) .

(٣) التوبة : ٦١ .

كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١﴾ ، وكذلك إذا استعمل مقروناً مع الأعمال ؛ كقوله : ﴿ إِلَّا
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (١) .

والإيمان في الشرع : تصديق بالجنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان .
فمن أحلَّ بالتصديق فهو منافق ، ومن أحلَّ بالإقرار فهو كافر ، ومن أحلَّ
بالعمل فهو فاسق .

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله : (والإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه
ورسله ، وتصديق الإقرار بالفعل . فإذا كان ذلك كذلك ، فالذي هو أولى
بتأويل الآية وأشبه بصفة القوم أن يكونوا موصوفين بالتصديق بالغيب قولاً
واعتقاداً وعملاً) (٢) .

وقال ابن كثير رحمه الله : (فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقاداً
وقولاً وعملاً . هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة ، بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن
حنبل وأبو عبيد وغير واحد إجماعاً : أن الإيمان قولٌ وعملٌ ، يزيد وينقص) (٣) .
والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وأهله فيه متفاوتون ؛ فأفضلهم
أولو العزم من الرسل ، وأدناهم المخلطون من أهل التوحيد ، وبين هؤلاء
وأولئك درجاتٌ ورتب لا يعلم حصرها إلا علام الغيوب .

(١) سور العصر : ٣ ، " تفسير ابن كثير " (١ / ١٨٣) ط . ابن حزم .

(٢) تفسير الطبري (١ / ٢٤١) .

(٣) تفسير ابن كثير (١ / ١٨٣) ط . ابن حزم .

وأركان الإيمان ستة وهي : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
والقدر خيره وشره . كما ورد ذلك في حديث جبريل عليه السلام .

والمؤمن مطالبٌ بالإيمان - بمعنى زيادته والثبات عليه - كما قال تعالى :
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ
إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ^(١) .

وقال أيضاً : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ ^(٢) . وقال
سبحانه أيضاً : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَلْكَتِبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ
رَسُولِهِ ... ﴾ ^(٣) .

الإيمان بالغيب

وقوله : ﴿ .. بِالْغَيْبِ ﴾ : الغيب هو كل شيء مُسْتَتِرٌ عنك ، لا يمكنك
رؤيته والاطلاع عليه .

وقوله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ أي : (يصدقون بما غاب عن الحسِّ
والعقل غيبة كاملة ، بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداءً بطريق البداهة ، وهو

(١) الأنفال : ٢ .

(٢) الحجرات : ١٥ .

(٣) النساء : ١٣٦ .

قسمان : قسم لا دليل عليه ، وهو المراد من قوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ . . . ﴾^(١) . ومنه القَدَر الذي استأثر الله بعلمه ، وقسم قامت عليه البراهين : كالصانع وصفاته تبارك وتعالى ، وكالنبؤات وما يتعلّق بها من الأحكام والشرائع ، واليوم الآخر وأحواله من البعث والنشر ، والحساب والجزاء وهو المراد ههنا^(٢) .

وقال أبو العالية ، وقتادة بن دعامة في قوله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ قالوا : يؤمنون بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وجنته وناره ولقائه ، ويؤمنون بالحياة بعد الموت ، وبالبعث ، فهذا غيبٌ كله .

وعن ابن عباس ، وابن مسعود ، وناس من أصحاب النبي ﷺ ، ورضوان الله عليهم جميعاً أنهم قالوا : الغيب ما غاب عن العباد من أمر بالجنة وأمر بالنار ، وما ذكر في القرآن .

وقال زيد بن أسلم : ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾ : بالقَدَر .

وقال عطاء بن أبي رباح : من آمن بالله فقد آمن بالغيب .

(١) الأنعام : ٥٩ .

(٢) نور الإيمان في تفسير القرآن (الفاتحة والبقرة) ، لمحمد مصطفى أبي العلا . ص (٤٣ ، ٤٤)

ط . دار البشائر الإسلامية .

وقال الحافظ بن كثير رحمه الله في هذه الأقوال وما شابهها : (فكل هذه مُتقاربة في معنى واحد ؛ لأن جميع هذه المذكورات من الغيب الذي يجب الإيمان به) ^(١) .

فكل ما ذكر من أقوال سابقة وغيرها مما يخفى علينا بوجه من الوجوه ؛ فهو غيب ، وهو مرادٌ من هذه الآية ؛ كل هذه الأشياء : القرآن ، والوحي ، والله ﷻ ، والإيمان الجنة والنار ، وبالرسول ﷺ ؛ كلها داخلة في الإيمان بالغيب .

ويؤكد ذلك حديث النبي ﷺ لما جاءه جبريل ﷺ فسأله عن الإسلام ؛ ثم سأله عن الإيمان ، ثم سأله عن الإحسان ؛ والإحسان مرتبة أعلى من الإيمان ، والإيمان مرتبة أعلى من الإسلام ؛ نسأل الله ﷻ أن يبلغنا هذه المراتب العاليات بفضلِهِ وكرمه ، إنه على كل شيء قدير .

فسأله جبريل ، قال : ما الإيمان ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : (أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى) ^(٢) .

هذا هو الإيمان ، وهو مشتمل لكل هذه الأشياء التي ذكرها العلماء ، يدخل فيه القرآن ، ويدخل فيه الله تبارك وتعالى ، والملائكة ، فكل ذلك من الغيب الذي يثبنا الله تبارك وتعالى عليه .

(١) تفسير ابن كثير (١ / ١٨٤) .

(٢) رواه مسلم (٨) كتاب الإيمان من حديث عمر بن الخطاب ﷺ .

ولكن الله ﷻ لم يجعل هذا الغيب غيباً مطلقاً ، وإنما أقام عليه الحجج والبراهين التي تدل على وجوده سبحانه وتعالى ، فلم يقل الله لك : آمن بالله ﷻ ، ثم بعد ذلك لم تجد أثراً تدل على وجوده ، وآيات وبراهين مقنعة ؛ لا ، بل أوجد من البراهين الشيء الكثير .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

ومن الإيمان بالغيب ؛ الإيمان بنينا محمد ﷺ ؛ ففي حديث أبي جمعة الأنصاري رحمه الله أنه قال : تغدينا مع رسول الله ﷺ ومعنا أبو عبيدة بن الجراح ، قال : فقال : يا رسول الله ! هل أحدٌ خيرٌ مِنَّا ؟ أسلمنا معك ، وجاهدنا معك ، قال : (نعم ، قومٌ يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني) .

وفي رواية : أن أبا جمعة الأنصاري رحمه الله قال : قلنا : يا رسول الله ! هل أحدٌ خيرٌ منا ؟ قال : (قومٌ يحيئون من بعدكم ، يجدون كتاباً بين لوحين ، يؤمنون به ويصدقون ، هم خير منكم)^(١) .

وفي رواية : أن أبا جمعة الأنصاري رحمه الله قال : كنّا مع رسول الله ﷺ : ومعنا معاذ بن جبل عاشر عشرة ، فقلنا : يا رسول الله ! هل من أحدٍ أعظم منا أجراً ؟ آمناً بالله وتبّعناك ؟ قال : (وما يمنعكم من ذلك ، ورسولُ الله بين أظهركم ،

(١) رواه أحمد (١٦٩٧٦) ، والطبراني في الكبير (٣٥٣٧ ، ٣٥٤١) ، والحاكم (٨٥/٤) . وقال :

صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

يأتيكم بالوحي من السماء ؟ بل قوم يأتون من بعدكم يأتيهم كتاب بين لوحين ،
فيؤمنون به ويعملون بما فيه ، أولئك أعظم منكم أجراً^(١) .

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ زار المقابر ذات مرّة ، وسلّم على
أهلها ، ثم قال : (وددتُ لو أنني لقيتُ إخواني) فقال أصحابُ النبي ﷺ :
أوليس نحن إخوانك ؟ قال : (أنتم أصحابي ، ولكن إخواني : الذين آمنوا بي
ولم يروني)^(٢) .

من صفات أهل الإيمان

ذكر الله ﷻ صفات المؤمنين في آياتٍ كثيرة في القرآن العظيم ، ومنها قوله
تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ
إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾^(٣) .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾^(٤) .

(١) انظر (مسند أحمد) (٢٨ / ١٨٢ - ١٨٥) .

(٢) رواه أحمد (١٢٥٧٩) من حديث أنسٍ رضي الله عنه ، وقال محققو المسند : حسن لغيره .

(٣) الأنفال : ٢ .

(٤) الحجرات : ١٥ .

وقال أيضاً : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ
 اللَّغْوِ مُعَصِّمُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ يُمْرُؤُهُمْ كَخِطِّوْنَ ﴿٤﴾ إِلَّا
 عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٥﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
 الْعَادُونَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٨﴾
 أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿٩﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠﴾ (١).

والحديث عن صفات المؤمنين حديث طويل ؛ غير أن اللبيب الأريب تكفيه
 الإشارة .

والإيمان مرتبط ارتباطاً عظيماً بأخلاق المسلم ؛ بمعاملة المسلم مع إخوانه
 المسلمين ، وفي ذلك يقول النبي ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما
 يحب لنفسه) (١) .

إذاً هناك علاقة بين المعاملة بينك وبين أخيك المسلم وبين الإيمان ؛ ويؤكد
 ذلك أيضاً ؛ قوله عليه الصلاة والسلام : (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ،
 وخياركم خياركم لأهله) (٢) .

(١) المؤمنون : ١ - ١١ .

(٢) رواه البخاري (١٣) ، ومسلم (٤٥) من حديث أنس ؓ .

(٣) رواه الترمذي (١١٦٢) في الرضاع ، وقال : حديث حسن صحيح . وهو عند أبي داود
 (٤٦٨٢) في السنة .

والإيمان في القلب ، ومع ذلك ربطه الله تبارك وتعالى بحسن الخلق (فأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) فما أحرانا أن نتخلق بأخلاق الإسلام ؛ حتى يزداد إيماننا بالله تبارك وتعالى ، وكتبه ، ورسله .

وقد ذكرنا قول الحق ﷻ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ] أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴿^(١)﴾ ، هذه حقيقة الإيمان ، إذا ذكر الله وجلت القلوب ، فإذا وجل قلب المؤمن عند سماع كلام الله ﷻ فقد اتصف بحقيقة الإيمان ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ وتصديقاً ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ] .

وقال عليه الصلاة والسلام ذات يوم لحارثة : (كيف أصبحت يا حارثة ؟) قال : أصبحت مؤمناً حقاً . قال : (إن لكل شيء حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟) قال : عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظلمات نهاري وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً ، وكأني بأهل الجنة يتنعمون فيها ، وكأني بأهل النار في النار يعذبون . فقال له عليه الصلاة والسلام : (أصبت فالزم ، مؤمن نور الله قلبه) ^(٢) .

(١) الأنفال : ٢ - ٤ .

(٢) قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (١٩٠ ط . دار الفكر : رواه البزار ، وفيه يوسف بن عطية ؛ لا يحتج به .

وقوله : (فأسهرت ليلي ، وأظمأت نهاري) أي : بالصيام والقيام ، وقوله :
(عزفت نفسي عن الدنيا) النفس ؛ وليس الظاهر كما هو حال بعض الناس
فتجده في ظاهره عازفاً ، وفي قلبه متعلقاً بها ، شغوفاً بها ، محباً لها ، فليس هذا
بزهد ، وليس هذا بإهمالٍ لهذه الحياة الدنيا ، بل الزهد أن تكون في قلبك ليست
لها قيمة ، ليس لها وزن ، ليس لها تعلق .

هذه حقيقة الإيمان ، أن تعرف حقيقة الدنيا فتعزف نفسك عنها ، أن تعرف
حقيقة الآخرة فتتقرب منها ، أن تعرف حقيقة كلام الله ﷻ فيخشع قلبك عند
سماع كتاب الله تبارك وتعالى .

وللإيمان كمال واستكمال ؛ فقد تقدم ما رواه الترمذي عن أبي هريرة ؓ ؛
عن النبي ﷺ أنه قال : (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم
لنسائهم) ^(١) .

إذا أردت كمال الإيمان ، وهنيئاً لك إذا بلغت كمال الإيمان فلتكن حسن
الخلق ؛ وليس هناك فصل بين الإيمان والخلق ، فلا يظن ظان أنه مؤمن إيماناً
قوياً ، وأنه صحيح العقيدة كاملها ، وأخلاقه سيئة في تعامله مع والديه ، ومع
أقاربه ، ومع جيرانه ، ومع أصحابه ، ومع الناس ؛ فإن سوء خلقه دلالة على
سوء عقيدته ، وعلى سوء إيمانه والعياذ بالله ﷻ .

(١) رواه الترمذي (١١٦٢) في الرضاع ، وقال : حديث حسن صحيح . وهو عند أبي داود
(٤٦٨٢) في السنة .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (من أحبَّ الله ، وأبغضَ الله ، وأعطى الله ، ومنعَ الله ، فقد استكمل الإيمان) ^(١) .

إذا كان الحب ليس حباً للدنيا ، وليس حباً لشهواتها ، ورغباتها وإنما حباً في الله وكرهاً لله ، وعطاءً لله ، ومنعاً لله ، فقد استكمل الإيمان .

وروى أحمد بسندٍ حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال عليه الصلاة والسلام أيضاً : لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في المزاح والمرء وإن كان صادقاً ^(٢) .

وللإيمان طعم وحلاوة ؛ فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً) ^(٣) .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) ؛ الرجل الذي أحب الله ﷻ وأحب رسوله أعظم من كل شيء ، فهذا الذي يذوق حلاوة الإيمان ، وكذلك (وأن يحب المرء لا يُحبُّه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار) ^(٤) .

(١) رواه أبو داود (٤٦٨١) ، وأحمد (٣ / ٤٣٨ ، ٤٤٠) وهو حديث حسن .

(٢) رواه أحمد (٢ / ٣٥٢ ، ٣٦٤) .

(٣) رواه مسلم (٣٤) في كتاب الإيمان .

(٤) رواه البخاري (١٦ ، ٦٩٤١) ، ومسلم (٤٣) .

وللإيمان شعب كثيرة ، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (الإيمان بضع وسبعون شعبة) وفي رواية : (بضع وستون شعبة ، أفضلها : قول لا إله إلا الله ، وأدناها : إمطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان) ^(١) .

وفي الحديث الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال عليه الصلاة والسلام : (الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء في النار) ^(٢) . وللإيمان صريح ومحض ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء ناسٌ من أصحاب النبي ﷺ فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : (وقد وجدتموه ؟) قالوا : نعم . قال : (ذاك صريح الإيمان) ^(٣) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سئل النبي ﷺ عن الوسوسة فقال : (تلك محضُ الإيمان) ^(٤) .

(١) رواه البخاري (٩) ، ومسلم (٣٥) .

(٢) رواه أحمد (٢ / ٥٠١) ، والترمذي (٢٠٠٩) ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) رواه مسلم (١٣٢) .

(٤) رواه مسلم (١٣٣) .

وللإيمان مثال ضربه النبي ﷺ بقوله : (مثل المؤمن كزرع لا تزال الرياح تُفِيئُهُ ، ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء ، ومثل المنافق كمثلي شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد)^(١) والعياذ بالله ﷻ .

فهذا مثال ضربه النبي ﷺ للمؤمن الذي يتليهِ ﷻ بالبلاء .
وضرب النبي ﷺ للمؤمن مثلاً آخر ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال :
قال رسول الله ﷺ : (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وهي مثل المؤمن .
حدثوني ما هي ؟) قال ابن عمر : فوقع الناس في شجر البوادي ، وكنت من
أحدث الناس - أي : أصغرهم - ، ووقع في صدري أنها النخلة ، فقال رسول
الله ﷺ : (هي النخلة) فاستحييت - يعني أن أقول - قال : فذكرت ذلك لأبي ،
فقال : لأن تكون قلته ؛ أحبُّ إليَّ من كذا وكذا^(٢) .

(١) رواه مسلم (٢٨٠٩) ، والترمذي (٢٨٦٦) واللفظ له من حديث أبي هريرة ؓ مرفوعاً ،
وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . الأرز : بفتح الهمزة وتضم وإسكان الراء بعدهما زاي :
وهي شجرة الصنوبر ، وقيل : شجرة الصنوبر الذكر خاصة ، وقيل : شجرة العرعر ، والأول
أشهر .

(٢) رواه أحمد (٦٤٦٨) ، والبخاري (٧٢) ، ومسلم (٢٨١١) .

والإيمان يتجدد فقد قال ﷺ ذات يوم لأصحابه - والحديث حسن - :
(جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ) قالوا : وكيف نجدد إيماننا يا رسول الله ؟ قال : (أَكثَرُوا مِنْ
قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ^(١) فإنها تجدد الإيمان .

وللإيمان أجزاء ؛ فعن أبي مالك الأشعري ؓ قال : قال رسول الله ﷺ :
(الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان والحمد لله تملأن أو
تملاً ما بين السماء والأرض) ^(٢) .

وللإيمان بلد يأوي إليه ، فعن أبي هريرة ؓ ، أن رسول الله ﷺ قال : (إن
الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها) ^(٣) .

ومن صفات المؤمنين ما جاء في حديث أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال :
(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو
ليصمت) ^(٤) .

(١) رواه أحمد (٢ / ٣٥٩) ، والطبراني من حديث أبي هريرة ؓ . وقال المنذري في « الترغيب »
(٢٢٦٠) : وإسناد أحمد حسن .

(٢) رواه مسلم (٢٢٣) ، والترمذي (٣٥١٧) ، وابن ماجه (٢٨٠) ، والنسائي (٥ / ٥) مع
اختلاف يسير في اللفظ .

(٣) رواه البخاري (١٨٧٦) ، ومسلم (١٤٧) .

(٤) رواه البخاري (٦١٣٨) ، ومسلم (٤٧) .

وفي رواية لمسلم : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره) ، وفي رواية : (فليحسن إلى جاره) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :
(المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) ^(١) .

وعند الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أَمَنه الناسُ على دمائهم وأموالهم) ^(٢) .



(١) رواه البخاري (١٠) ، ومسلم (٤٠) .

(٢) رواه الترمذي (٢٧٦٢) كتاب الإيمان ، وقال : حديث حسن صحيح .